مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد08 / العدد 02 (2022)، ص 606- 618

جدلية الهجرة والاستيطان الأوروبي في الدراسات السوسيو-انثروبولوجية الاستعمارية في الجزائر

(قراءة نقدية تحليلية لدراسة الباحث الفرنسي بارثلون الموسومة بـ:

"Quel est le rôle de la France dans l'Afrique du nord coloniser ou assimiles")

ط.د طرمول سفيان [1*]، د. رفاف شهرزاد [2*]

[1]جامعة طاهري محمد -بشار (الجزائر)، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا - جامعة ابن خلدون تيارت، soufyane.tarmoul@univ-bechar.dz

[2]جامعة طاهري محمد -بشار (الجزائر)،chahrasaid1973@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/19 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

تثير هذه الورقة البحثية النقاش حول جدلية الأنثروبولوجيا كعلم محض من جهة, وتوظيفها لخدمة المشروع الكولونيالي الفرنسي بالجزائر من جهة أخرى، حيث نسلط الضوء على احد أهم الدراسات العلمية التي أجريت خلال الحقبة الكولونيالية، دراسة تحت عنوان: ما هو دور فرنسا في الشمال الإفريقي استعمار أم استيعاب؟.

دراسة نظر من خلالها الباحث برثــلون للحيوية الديمغرافية, التأقلم, الهجرة والاستقرار الأوروبي داخل المستعمرة، واستبعاد إمكانية استيعاب أو إدماج المواطن الأصلي, اعتمادا على معايير عرقية لغوية ومقاربات ثقافية, ولأسباب دينية ، بحيث أسس في دراسته هذه لمشروع الهجرة الأوروبية وشروط نجاحها بالمستعمرة, وما يمكن أن تقدمه في سبيل تطوير النموذج الكولونيالي في المنطقة.

في محاولة علمية لبناء حقائق تعكس أولويات السياسة الاستعمارية الاستيطانية في المستعمرة مطابقة للفكر الكولونيالي في سعيه لرسم مستقبل فرنسا الجديدة في الشمال الإفريقي بجنس فرسي أوروبي .

كلمات مفتاحية: التقارير السوسيو-أنثروبولوجية الفرنسية، الحيوية الديمغرافية، السكان الأصليين، الهجرة الأوروبية، الجزائر المستعمرة.

Abstract

This research paper raises the debate about the dialectic of anthropology as a colonial science , we highlight some studies and scientific surveys which were conducted during the colonial area, and were presented by French researchers about the Algerian original citizen, sociology and anthropology from a colonial perspective, rejecting of airy from of his

* المؤلف المرسل

existence and even ruling out the possibility of assimilation or integrating it, thus the demographic vitality , the adaptation , immigration and the European stability within the colony constituted strategic priority issues for the authority at the end of the 19th century ,at an essential station for building anthropological theories in conjunction with the general policy requirements of the colonial authority

That what is going to be revealed in this paper, by dealing with those anthropological reports that studied the Algeria races from sociology , demography , ethnography and anthropology point of view , to broiled scientifically its thought to establish new France in north Africa.

Key words: French anthropological reports, bio. Demographic, indigenous people, European migration, colonial Algeria.

مقدمة:

شكل المجتمع الجزائري المختبر والقالب الذي أفرغت فيه الدراسات والأبحاث السوسيو – انثروبولوجية الفرنسية, وأسست لنظريات واطاريح تهدف إلى تحليل معمق للأجناس البشرية المكونة له, هذه الدراسات التي سوف تطرح احد القضايا المحورية للمستعمرة, وهي التأسيس للهجرة الأوروبية, ونقد مشروع استيعاب عناصر المجتمع القبلي الجزائري .

إن هذا الطرح وضع محل نقاش وجدل علمي، وعولج من وجهة نظر علمية أنثروبولوجية وأثنوغرافية اجتماعية، طرحت من خلاله إشكالية أولوية العناصر البشرية وأهليتها للحضارة والأكثر حيوية من الناحية الديمغرافية والاجتماعية، كما تمت مقاربتها عرقيا وثقافيا للأمة الفرنسية أولا والأوروبية اللاتينية ثانيا.

وبالتالي، فإن هذه الفكرة، وهذا الطرح لا يمكن أن يخرج عن التوجه الرئيسي لكل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، هذا التوجه الذي تمحور بشكل أساسي وركز أبحاثه الميدانية. حول دراسة الأولوية العرقية والثقافية العقلية وحتى النفسية السايكولوجية للأجناس البشرية. فهل لنا نحن كباحثين أن نسلم بالصورة التي قدمتها لنا هذه الدراسات عن المجتمع القبلي الجزائري, عن عدم أهليته

للحضارة والثقافة, وعن رجعيته الدينية وعن أساليبه الاقتصادية؟, وهل كانت هذه النظريات مؤسسة علميا؟, أم أنها بناء علمي لمـــشروع استعماري ؟

ومن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف أسست هذه الدراسات والأبحاث لمشروع الهجرة الأوروبية وأبعدت مشروع الاستيعاب؟. وما قدمته في سبيل تطوير النموذج الكولونيالي في الجزائر؟.

ولمعالجة هذه الإشكالية سوف نقدم تحليلا لنموذج من تلك الدراسات الميدانية للشعوب الأصلية المحلية في الجزائر , الدراسات والأعمال قاربت الأجناس الخارجة عن النطاق الإفريقي والمنتمية عرقيا إلى الأعراق المقاربة للجنس الفرنسي استنادا إلى دلالات جسدية، ومعطيات فيزيولوجية تتكلم لغات مشابهة للغة الفرنسية الأصلية أو اللاتينية الأوروبية, في مقاربة عرقية لغوية وثقافية لإيجاد أولوية ثقافية

. الانثروبولوجيا والاستعمار الفرنسي لشعوب القارة الإفريقية. أية علاقة؟

تشير المصادر التي أرخت لظهور الأنثروبولوجيا كعلم إلى أن ميلادها يرجع إلى بدايات القرن التاسع عشر، وهي فترة توسع الحركة الاستعمارية الفرنسية، وبداية اختراقها لمجتمعات العالم الواقع تحت خط الانحطاط والتوحش، هذه المجتمعات البشرية التي طالما وصفت بالقابعة بعيدا عن الحضارة الفرنسية ومقوماتها، وعن التمدن الأوروبي. (ليكـليرك, 1990. ص 37) .

يـشير ليكـــلرك في مؤلفه:" الأنثروبولـــوجيا والاستعمـار " إلى ذلك واصفا إياه بالتوافق الزمني بين ظهور الحركة الاستعمارية، وولادة الأنثروبولـــوجيا المعاصرة (ليكـليرك, 1990. ص 12)، وبالتالي ظهرت الحاجة الملحة إلى الأنثروبولـــوجيا، والرهان على العديد من باحثي الأثنولوحيا والأثنوغـرافيا، الذين دخلوا خدمات الجيش الفرنسي في هذه الفترة وركزوا على اختراق السكان الأصليين, وتقديمهم للتفسير العرقي للحضارات.

لقد تم دمـــج الأنثروبولـــوجيا بشكل غير مباشر في السيـــاسة الكولـــونيالية الفرنـــسية، وتم تخصيصها بتأكيدها العلمي على دونية بعض الشعوب والأجناس، وكانت

شعوب القارة الإفريقية مقصدا مباشرا، بل وميدانا لإفراغ هذه السياسة، وبعمل استشاري بين العديد من الأنثروبولوجيين والسلطات العسكرية والإدارية التي أظهرت الحاجة الماسة لدراسات ميدانية.

وبالتالي لا يمكن وصف الأنثروبولوجيا الفرنسية في القرن التاسع عشر إلا بالحليف المباشر للاستعمار وسياساته العرقية في القارة الإفريقية، وروادها بمستشاري السلطة العسكرية والنظام الإداري (ليكليرك, 1990. ص 07). ولعل الجزائر كانت مهدا للتجربة الفرنسية في ميدان توظيف الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية واستخدامها في توجيه وصياغة إستراتيجية الهيمنة، والممارسة السياسية الاستعمارية (P ..Lucas & J .C. Vatin. 1975. P.07)

لقد أجريت على مدار القرن التاسع عشر العديد من البحوث الميدانية الأثنوغرافية الأثنولوجية والاجتماعية, وحتى منها الديمغرافية والطبية، وتلك التي قاربت الجغرافيا البشرية والحضرية. كان فيها المجتمع الجزائري بصفة أكثر خصوصية، المكان الهندسي والمختبر العلمي لإسقاط النظريات الغربية بشكل ممنهج ومدروس بدقة أكبر، فلا غرابة أننا نرى توافد باحثي المختبرات والمجمعات العلمية الفرنسية في شكل بعثات أنثروبولوجية اخترقت المجال الجزائري, في صورة المجمع الأنثروبولوجي لمدينة باريس، ولك أن تطلع على أرشيفه لتعي حجم الدراسات التي أنجزت في إطاره وتحت إشرافه.

وكان أول وأبرز دراسة ومسح ميداني، تقرير ركز على الشعوب الأصلية في منطقة الشمال الإفريقي بصورة أدق 'المواطن الأصلي في الجزائر' وهو تقرير أنثروبولوجي من عمل الباحث الأنثروبولوجي الفرنسي بارثلون، وقد قدم للنقاش في إطار أعمال الجمعية الأنثروبولوجية لباريس سنة 1897، تحت عنوان:" ما هو دور فرنسا في الشمال الإفريقي استعمار آم استيعاب " Quel est le rôle de la France dans l'Afrique du nord coloniser ou assimiles ".

هــذا العمل قدم لتحليل ومناقشة فكرة استيعاب الشعوب الأصلية في الجزائر، خاصة وهذه الفكرة، وهذا الطرح هو النموذج العلمي الأولي، والبناء العلمي للمشروع الاستعماري الفرنسي القائم على فكرة سياسة الاستيعاب. ومحللا للوضع الاجتماعي في المستعمرة, ومسلطا عدسته على الشعوب الأصلية بها, انطلاقا من وجهة نظر ســوسيو-أنثروبولوجية عرقية وعقلية ثقافية، . (Bertholon, 1889:p509). ومن هذا المنطلق نقترح تحليل هذا العمل العلمي بأبعاد تنظيرية تخدم التخطيط لمستقبل دولة وركيزة علمية لسلطة سياسية قائمة.

من هنا انطلق باحثوا الانثروبولوجيا في تطبيق المنهج والتوجه الكولونيالي للبحث الانثروبولوجي الفرنسي، والذي بقي حبيس التوجه التصنيفي، ولا يخرج عن سياق الفكرة الكلاسيكية للبحث الفرنسي والإنتاج العلمي الاستعماري في أحد أبرز مستعمراته التي وقع الرهان فيها على مستقبل الدولة في الشمال الإفريقي. (G. boetsch J.N. ferrie. 1989. P 257).

هذه الفكرة التي سيطرت على الأطاريح الأنثروبولوجية، وشكلت سياقا واضحا للبحث الفرنسي مفاده الأولوية العرقية، والأهلية للحضارة الفرنسية التي نجدها ضمن الأعمال الأولى والمصنفات الأثنوغرافية التي أجريت منذ سنة 1830م وإلى غاية 1860م، واستمر هذا المنطق البحثي يسيطر على الأبحاث التي أجريت في الفترات الموالية من هذا القرن، رغم أنها عرفت تطورا من ناحية الأساليب والتقنيات المستخدمة في التحقيقات الأثنوغرافية ومعايير بناء الأطاريح الأنثروبولوجية، فهي لم تخرج بعد عن الاستعمار، بل جارته وأصبحنا نراها أقرب إلى منطقه.

وتأسيسا على هذا التقرير المقترح للمناقشة، الذي تم بموجبه تحديد معايير رفض مشروع استيعاب السكان الأصليين في المستعمرة من الناحية العلمية، واستنادا إلى معايير أنثروبولوجية، وعلم الاجتماع ودراسة سلوك المواطن الأصلي بها نتعرف على الاطاريح التي روجت لها هذه الدراسة .

السياسة الاندماجية وعلم الاجتماع الخاص بالسكان الأصليين:

المواطن الأصلي وعلاقته بالكتاب المقدس كأساس تنظيري لإمكانية الاندماج:

وصف المجتمع الأصلي في هذه المستعمرة بالمجتمع الثيوقراطي المطلق، الذي يحكمه الدين ومجتمع واقع تحت أحكام الكتاب المقدس 'القرآن الكريم' والمرشد له والمسترشد به وبالتالي لا مستقبل لهذه الجماعات البشرية (ويقصد بها السكان الأصليين بها)، إلا خارج هذا الإطار الديني الرجعي، ومن هنا انطلق الباحث في دعوته لقمع الدين الذي يحكم هذه المجتمعات في الشمال الإفريقي، بحكم أنَّ ذلك يعد حلا وحيدا وأوليا للحصول على نتائج إيجابية لمستقبل المستعمرة والاستعمار الفرنسي هناك.

إن هذا المجتمع مجتمع إسلامي منظم ضد القوانين الاقتصادية بدليل التزامه بالفقه الإسلامي القرآني وفكرة الملكية المشتركة المتوارثة التي يحتكم إليها المسلم.

وتأسيسا على ذلك، تم نقد القانون الاجتماعي للقرآن أو الكتاب المقدس في علاقة المسلم والمواطن الأصلي بالمستعمرة وبغيره، والتي تشكل الأساس التقليدي للعقلية بين السكان، وهنا نموذج الجهاد المقدس الإسلامي ضد الكفار، والتي يحكمها القرآن الكريم في آياته، والتي تشكل المواد الشرعية التي تحكم علاقات رعايانا المسلمين بالمسيحيين أي الفرنسيين (Bertholon, 1889: P513-514) .

لم يتوان بيرثلون في اتخاذه موقفا ناقدا من السلطة المشرفة على المستعمرة وسياستها التي سمح بوساطتها رجال الدولة بتلقين الدروس الدينية للأطفال وتعلمها، والتي في رأيه صناعة لعدو أزلي يقول:"... حينما تمتلئ رؤوسهم بهذه الأعمال الوحشية. (يقصد هنا مضمون الآيات القرآنية)، نعتقد حينها وبسذاجة، أن هؤلاء الناس سوف يصبحون مساعدين لنا وأصدقاءنا ..."،

يورد الباحث جملة من الآيات القرآنية والتي يراها مواد الشريعة المحمدية التي تحكم علاقات رعايانا المسلمين بالمسيحيين، أي الفرنسيين وتشكل بدورها الأساس التقليدي للعقلية بين المستعمرين، في حين يرجع المقاومة التي تلاقاها الفرنسيون في هذه الفترة إلى

أنها بدافع ديني جهادي، وباستلهام المشاعر الدينية للسكان ولعل أبرز مثال عن ذلك تمرد سنة 1871م، وثورات كل من المقراني وأخوية الرحمانية، في حين يعرض أحداثا تاريخية يعتقد أنها دلالات تبرز مظاهر سلوك المسلم والمواطن الأصلي في المنطقة. وهذا ما قدمه الباحث في صورة نهب الخدم من السكان الأصليين, مزارع أسيادهم واغتصبوا نساء المنزل. ((Bertholon, 1889 : P516- 517)،

بينما ينفي أوبــان إسماعيل "Ismail Urbain" الفرضية القائلة بهذا الطرح، ولا يرى آي تأثير رجعي للإسلام والحضارة الإسلامية على فرنسا ومستقبلها في المنطقة، ويقول: "... إن الحضارة الإسلامية والإسلام لم يكن ولن يكون جدارا مانعا لدمج الأهالي في حضارتنا، أما البربر السكان الأصليين فلم تتمكن الإدارة الفرنسية بحضارتها أن تدمجهم ضمن فلك الحضارة الغربية، رغم أن الحضارة الإسلامية استطاعت في الماضي التأثير فيهم باعتناقهم الدين واللغة ما جعل المنطقة تتغير..." (Ismail Urbain, p :6).

وهو ما يذهب إليه الباحث زابروسكي (S. Zaborowski) في تحليله للمسألة انطلاقا من مقاله المعنون بـ: " De l'assimilation des indigènes algériens " في استيعاب الأهالي الجزائريين، والذي عالج فيه وضع السكان الأصليين في الجزائر، ودورهم في مستقبل المستعمرة، واحتمالية الاندماج الكامل للجزائريين، وعدم إيمانه المطلق أن هذا الجزء من السكان مكرسين للحياة الرعوية سوف يكون على استعداد لقبول حضارتنا، وأن ليس لفرنسا أية مصلحة في رؤيتهم يغيرون حياتهم، ودعا إلى تجنب أي صدام فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية، وضرورة التحاق الجزائري بمدارسنا الفرنسية العلمانية، في حين يؤكد على استحالة الروابط والعلاقات بين السكان الأصليين والأوروبيين ويراها أشبه بالمستحيلة وهذا بحكم الاختلافات الأساسية في الدين S. Zaborowski . p) .
481)

لا لمستقبل المستعمرة مع المواطن الأصلي:

يقدم الباحث_نقدا لفكرة الاستعمار مع المواطنين الأصليين، ويدعو إلى حركة إخلاء منتظم_للشمال الإفريقي، مستبعدا فكرة الوحدة العرقية وحتى الجغرافية، والبعد عن أي تجانس ثقافي أو لغوي للسكان الأصليين والحضارة الفرنسية، وبالتالي يضع أبحاث ودراسات سابقيه التي نادت أو ناقشت إمكانية استيعاب العنصر الأصلي بالمستعمرة فهي برأيه أسطورة وجب محوها والبحث عن بديل لها، هذا البديل يراه في الهجرة المزدوجة فرنسية-أوروبية باتجاه الشمال الإفريقي، مقابل هجرة المواطن الأصلي باتجاه أراضي السودان .

ينفي الطرح القائم على فكرة هي محاولة مناقشة إمكانية الاندماج أي مناقشة أطروحة مدى قابلية هذه الأجناس لفكرة التجنيس والاندماج في المستعمرة، وتقييم ما الذي بإمكان هذه الأجناس تقديمه لصالح مستقبل المستعمرة. (Bertholon, 1889: P536) .

مشروع الاستعمار مع المواطن الفرنسي والأوروبي:

أيهما نفضل الأجانب أم السكان الأصليون؟ تمت الإجابة عن هذا السؤال وحددت شروط نجاحه مسبقا، وقدمت له معايير ذات دلالة أنثروبولوجية، فإذا اتخذنا المعيار العرقي كشرط أولي لاندماج العناصر الأجنبية، فهم من نفس الجنس والعرق الفرنسي الأشقر ، وإن اختلفت جنسياتهم وأصولهم فهم أقرب عرقيا للعرق الفرنسي. (Bertholon, 1889: P524).

الخصائص الجسدية والفيزيولوجية: son type physique

وإذا نظرنا إلى الخصائص الفيزيولوجية فهي تتقارب جسديا وفيزيولوجيا مع خصائص المواطن الفرنسي، العادات والتقاليد والأخلاق شبيهة وإلى حد بعيد بتلك الموجودة بفرنسا نفسها. (Bertholon, 1889: P525).

من حيث معطياتها اللغوية واللهجية: son type langue:

وكركيزة لغوية لهذا المشروع المقترح لإدماج العناصر الأجنبية في المستعمرة، فالمعيار اللغوي واللهجي المقترح لها هو نفسه المثبت لدى المواطن الفرنسي، وبلهجة رومانية لاتينية مشابهة، يخلص في الأخير إلى فكرة مفادها: الأوروبي أكثر قابلية للاستيعاب والإدماج وإمكانية اختفاء الأثر الأصولي لهذه العناصر مستقبلا، وبالتالي سوف نرى مواطنين فرنسيين ليس إلا. (Bertholon, 1889: P526).

نفي الطرح المنادي بدمج الكتلة الأجنبية وتفكيكها مع السكان الأصليين، أطروحة الزواج المختلط التي نادي بها بعض الباحثين من قبل، ويراها نظرية بعيدة للتحقيق، بل ونظرية يستحيل تطبيقها مع المواطن الأصلي. (Bertholon, 1889: P523).

من حيث الأسباب الاقتصادية والإنتاج الزراعي:

لاستعمار زراعي في الشمال الإفريقي يقول الباحث ويطرح فرضية الأوروبي لزراعة تربة الشمال الإفريقي، حيث يرى الباحث أن المواطن الأصلي منظم ضد القوانين الاقتصادية ويستبعد فكرة اعتماده لزراعة أراضي المنطقة، ويستدل في قوله بالاستعمار الفرنسي الناجح زراعيا مع غير العربي في مستعمرات أخرى، وبالتالي يقول إنه من المفيد الاستغناء عن المواطن الأصلي في المستعمرة، في حين يلح على ضرورة البحث عن هجرة العامل الزراعي والصناعي الفرنسي والأوروبي، وسبل تذليل العقبات التي يمكنها تعطيل هذه الهجرة. (Bertholon, 1889: P523).

الهجرة والاستقرار ودراسة الحيوية الديمغرافية للأجانب:

تثبت الدراسات المقدمة في هذا الشأن، والتي قدمت إحصائيات لمقاربة الزيادة الديمغرافية للمواطن الأصلي في الجنوب، والمواطن الأجنبي معدل المواليد، وفي محاولة من الباحث لتحليل مثبتا حيوية هذا الأخير في هذه المنطقة انطلاقا من دراسة نسبة السكان الأجانب في الجزائر، والتي يراها تفند الطرح القائل بضياع الجزائر من أيادي فرنسا. مستدلا بأرقام إيجابية بخصوص الهجرة الفرنسية والأجنبية. وتحسُّن معدل

الزيادة الطبيعية وتكاثرها، وبالتالي لا خوف على مصالح الدولة الفرنسية هناك في ظل هذه الحيوية الديمغرافية للسكان الفرنسيون الأفارقة. (Bertholon, 189 :p52 P536)

دراسة وسائل وبحث سبل التثبيت والاندماج:

مكانة القبائل ذات الأصل البربري من هذا المشروع:

يطرح الباحث نظرية إمكانية إعادة القبائل ذات الأصل البربـــري الأمـــازيغي التي تجنبت تأثـــير الإسلام، إما عن طريق الانقسامات أو بوضع تعاليمها وقوانينها قبل الإسلام والكتاب المقدس القرآن الكريم، إن هذه العناصر من السكان الأصليين في المنطقة (هي أكثر العناصر قابلية للاندماج في الحضارة الفرنسية، وفق تدابير ووسائل مناسبة حددها الباحث في: خدمتها العسكرية في فرنسا، الزواج المدني، التعليم العام الفرنسي مقابل قمع تعليم اللغة العربية، اقتراح إنشاء قبائل عسكرية وتأسيس مستعمرات القبائل،(Bertholon, 1889 : P527) والتي سوف تعامل عسكريا في مقابل استبعاد العنصر العربي الذي ظل بعيدا عن أطروحة الاستيعاب والاندماج لعدم توافقه مع الحضارة الفرنسية ومقوماتها، ولقد اشترط لنجاح الاستعمار في الجزائر مواصلة جهود إلغاء دولة البدو العربية.(De Mortillet, 1890:p356 - 357).

ما يزال هناك البربر الذين يشكلون الجزء الأكبر من السكان الأصليين، والنواة الأكثر إثارة للاهتمام تحت مسمى منطقة القبائل، ومختلف التقسيمات المحلية الأخرى، كلها عناصر مستقرة وتمارس الزراعة، هذا هو العنصر المهم في مسالة المصالحة والاستيعاب متأسفا لتأخر هذه العملية؛ لأن هذه المنطقة تمثل مستقبل المستعمرة بأكمله، بالتالي وجب أن يكون للبربر الأما زيغ مصلحة حقيقية في أن يكونوا فرنسيين ويندمجون مع بقية العناصر الأجنبية بوسائل، كالتعلم الإلزامي والموحد، ووجوب تطوير وتفعيل استخدام اللغة الفرنسية(Bertholon, 1889 : P535) كأنجع وسيلة لتحقيق ذلك.

إن هذا النموذج الاستعماري المهيمن على محاور البحث والدراسة، والتي روجت له دراسات علمية فرنسية أخرى في تحليلاتها الأنثروبولوجية التي أجريت في هذه الفترة، بالضبط فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ركزت على مواضيع الاستيطان، الاستيعاب، والاندماج، مع باحثين اختلفت درجة انتماءاتهم للسلطة، أمثال الإداري سباتييه (Sabatier) ، والحاكم العام ترمان (Tirman), وأندريه مارتان (A. Martin)، والذي ينطلق أساسا من معايير وخصوصيات عرقية واعتبارات علمية تتعلق بثقافة هذه العناصر وقرابتها للثقافة الفرنسية والعرقية للأجناس الأوروبية، هذا النموذج الاندماجي الذي مثل محور انشغال للإدارة الكولونيالية وأكبر تحدياتها في المستعمرة.

لا غرابة إذًا في القول والإيمان بفرضية السياسة الأمازيغية في فرنسا والتأثير الفرنسي على ظهور الوعي بالهوية بين القبائل، ولماذا لا تزال فرنسا في قلب الأخبار والأحداث الأمازيغية بالبلد، وهو ما أشارت إليه الباحثة "فتحية شويــرف" في أطروحتها " المسـألة الأمــازيغية في الجزائر" في محاولة تأصيل للمسألة وخلفيتها التاريخية، ولارتباط أصول البربرية في الجزائر بالتاريخ الاستعماري والأبحاث الفرنسية. (F. chouiref. 2018 .p .7-8)

ولفهم أدق للمشكلة من وجهة نظر أنثروبولوجية، هناك تحليل معمق لدراسة الباحثان الفرنسيان "Gilles boetsch. Jean-Noël ferrie"، والتي طرحت المسالة الأمازيغية البربرية، والتأصيل لظهورها في أبحاث العلمية الفرنسية الأنثروبولوجية منتصف القرن التاسع عشر وتحليل التعارض العربي البربري في الجزائر المستعمرة. (G. boetsch J.N. ferrie. 1989. P 257) .

ليس الغرض من طرحنا للمسالة الأمازيغية تحليل المسالة بحد ذاتها أو العودة لجذورها التاريخية الأولى، وإنما محاولة لإثبات استخدامها واستغلالها الكولونيالي في إطار الاستراتيجيتة المتبعة لاحتواء هذه العناصر ضمن مشروع الاستيعاب والاندماج المعروض

للمناقشة العلمية، في الجانب المقابل إثبات لإلغاء العنصر العربي وإقصائه من ذات المشروع.

خاتمة:

في الختام درست العلوم الاستعمارية (الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع) التي اخترقت ميادين البحث في المجتمعات والشعوب المستعمرة، ونظرة روادها إلى أن السكان الأصليين خارج نطاق المشروع الاستعماري لفرنسا الجديدة في هذه المناطق، وحاولت التأسيس انثروبولوجيًّا واجتماعيا لنظريات بناء على تنظيمها الاجتماعي وخصائصها العرقية واللغوية، وما دراسة برثلون إلا نموذجا لها. بحيث طرحت هذه الدراسة المشروع الامبريالي الفرنسي القاضي بهجرة العناصر الأوروبية, وحيويتها الديمغرافية وتحليل لمعدلات الزيادة الطبيعية والتأقلم بالمستعمرة, ووضع الشروط اللازمة من اجل بعث مواطن أوروبي ناجح زراعيا واقتصاديا. مساهما بذلك في تطوير النموذج الكولونيالي, وداعما لمستقبل فرنسا بالشمال الإفريقي.

في حين استبعد الباحث أية إمكانية لمشروع استيعاب المواطن الأصلي الجزائري المنظم لأسباب عرقية, لغوية, دينية واقتصادية ضد قوانين الدولة الفرنسية وتثبيتها وتطويرها في الشمال الإفريقي, وبالتالي لا مكانة له في المشروع الاستعماري مع دعم نزوحه وهجرته نحو الجنوب وخلاصته:

أن دور فرنسا في الشمال الإفريقي وبالجزائر بالضبط استعمار ا وليس استيعاب. يخلص الباحث في نهاية دراسته هذه إلى الإجابة عن الإشكالية التي طرحها كعنوان لهذه الدراسة ما دور فرنسا في الشمال الإفريقي استيعاب أم استعمار؟ يرى أن دورها استعماري ولا مستقبل يتوقع أن يكون لها مع سكان المنطقة الأصليين، وبالتالي استبعاد فكرة الاندماج أو الاستيعاب؛ فمصلحة الاستعمار لا تتوافق معها.

وتأسيسا على ذلك وتفكيكا النظريات التي اقترحت لخلق استيطان أوروبي, وتفوق عددي للعنصر الأوروبي على الأهلي, والبحث عن الحيوية الديمغرافية لتلك العناصر في المنطقة، قدمت كحقائق مثبتة علميا نظريا وميدانيا أمام الإدارة الاستعمارية. التي اعتمدت هذا النوع من الدراسات ميدانيا. وحاولت دعم سياستها ومشاريعها الاستيطانية بالمنطقة بسن التشريع الكولونيالي الذي يخضع المستعمرة للكولون .

إن هذا النوع من الدراسات التي أنجزت في المرحلة الاستعمارية في الجزائر, قدمت تحليلا ومفهوما للمجتمع المحلي من وجهة نظر كولونيالية, فطرحها لبنية المجتمع الاثنية

ولعلاقات الإنتاج به وعلاقته بالدين والكتاب المقدس كل ذلك وجب علينا كباحثين أن نضع هذه الدراسات والنظريات التي أسست لها محل مسائلة علمية نقدية والفصل في جدليتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ليكـــليرك جيرار. (1990). الأنثربولـــوجيا والاستعمار،(ت جورج كتورة)، بيروت، لبنان، مجد للدراسات والنشر والتوزيع ط2 .
2. Bertholon. Quel est le Rôle de la France dans l'Afrique du Nord - Coloniser ou assimiler ? In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, IV◈ Série. Tome 8, 1897. pp. 509-536;
3. De Mortillet Gabriel. Sur les nègres de l'Algérie et de la Tunisie.. In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, IV◈ Série. Tome 1, 1890. pp. 353-359
4. Bertholon. Les premiers colons de souche européenne dans .l'Afrique du Nord.

Paris, Leroux, 28, rue Bonaparte, in-8* Br., 1907 .5

6. Chouiref. F . La question amazighe en Algérie : le passage d'une revendication culturelle et linguistique au pouvoir politique. Thèse université de Pau et des pays de l'Adour. Thèse pour obtenir le garde de docteur spécialité sciences politique 2018
7. Boetsch Gilles, Ferrié Jean-Noël. Le paradigme berbère : approche de la logique classificatoire des anthropologues français du XIXe siècle. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, Nouvelle Série. Tome 1 fascicule 3-4, 1989.
8. pp. 257-275
9. Zaborowski. S. De l'assimilation des indigènes algériens, In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, IV◈ Série. Tome 8, 1897. pp. 490-492
9. Lucas .p & Vatin. J .C. (1975). L'Algérie des anthropologues, paris 1975.
10. Urbain Ismail, L'Algérie française, indigènes et immigrants, Paris, 1862, p6-8